ف خوري البطل الإيجابي

محمد دكروب شاهداً على مناظرة رئيف خوري وطه حسين

في خريف 1995، عهد سماح ادريس إلى محمد دكروب بتقديم الحلقة التاسعة من «ذاكرة الآداب» التي تخصّ مناظرة شهيرة أقامها سهيل ادريس في «قصر الأونيسكو» في بيروت في أيار (مايو) 1955 بين طه حسين ورئيف خوري بعنوان «لمن يكتب الأديب: للخاصّة أمْ للكافّة؟». هذا التقديم الذي تخصنا به «الآداب» في مئوية رئيف خوري، بمثابة تحية إلى عمالقة أربعة جعلوا حياتنا أكثر عمقاً وتحدياً وجمالاً

في ذلك العام، كنتُ معجّباً ضد رئيف خوري، ميالاً، ولو بحذر، لما سيقوله طه حسين. كنا، حسين مروة وأنا، نتعاون في تحرير «مجلس الثقافة الوطنية» (ثقافية فكرية شهرية يصدرها الشيوعيون في لبنان). وكانت «الحرب» معلنة، في صحافة الشيوعيين، على رئيف خوري وآخرين، بتهم التحريفية والخروج على الخط الأممي، والعداء للاتحاد السوفياتي... وكان الأدباء التقدميون والماركسيون في مصر يخوضون (باسم الأدب الجديد) معركة ضد طه حسين والعقاد والحكيم، بدعوى أنّهم يمثلون الأدب القديم المحافظ. وأدّت صحفُنا الشيوعية هنا «قسطها» في هذا الاتجاه. وكنّا قد عملنا، حسين مروة وأنا، على جمع كتابات نقدية لمحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس، وإصدارها (1954) في كتاب «في الثقافة المصرية» الذي اعتُبر بمثابة «البيان الثقافي» للأدباء الشباب الماركسيين في تلك المعركة.

ذهبتُ إذن متوقعاً أن أشهد انفجار معارك كلامية في كل اتجاه: رئيف خوري «الخارج على الماركسية» في معركة ضد الشيوعيين، وضد طه حسين «الخارج»، هو أيضاً، على طليعية وتجديدية طه حسين نفسه والمشتبك ـ كذلك ـ مع أدباء ونقّاد ماركسيين! كانت تلك أوّل مرّة أسمع فيها رئيف خوري، خطيباً: صوت هادر، وهامة هادرة، يخطب بجسمه كلّه، بحركة جسمه وإيقاعات يديه، وانفعالاته الحماسية في كلّ كلمة أو جملة تتطلّب هذه الحماسة. وكانت ابتسامته الساخرة تعطي كلامه واقعاً محبباً. وكان صادقاً، فرغم أنّني كنت معجّباً ضده، فقد وصل إليّ صدقُه. وصدقه هذا، إلى تماسك منطقه، كان يعطي كلامه قدرة الإقناع.

وفي حدود معرفتي، يومها، بالمفاهيم الماركسية حول الأدب والفن والواقعية و«الأدب الهادف»... لم أجد في كلام رئيف ما يتناقض مع تلك المفاهيم. شعرتُ بأنه يعطيها روحاً وتلاوين محلية، عربية، تبعدها عن عمومية التجريد وتقربها إلى نبض الحياة الراهنة. على انني وجدت في كلامه الانتقادي لوضع الأدب والأدباء في الاتحاد السوفياتي، وافتقارهم الى الحرية، ما حسبتُ أنه يتناقض مع المضمون العام لخطابه! (سيتبيّن بعد سنوات وتجارب مريرة، واختبار عيني لواقع الأدباء في الاتحاد السوفياتي

بين تلامذته

حتى قبل انهياره أنّ كلام رئيف كان هو الصحيح، والمنسجم مع منطق فهمه الماركسي). وعندما جاء دورُ طه حسين، كنتُ أتساءل: هل سيدخل في عراك مع رئيف خوري ومع طه حسين الآخر الذي «كان طليعيّاً مجدّداً؟ وسط أمواج هادرة من التصفيق، أوصلوا طه حسين إلى المنبر. لا أذكر (بعد 40 عاماً من هذا الحدث) هل ألقى خطابه واقفاً أم جالساً على كرسي خلف المنبر. لكنني أتذكر أنه كان منتصب الظهر، واضعاً يديه أمامه، على حافة المنبر أو على ركبتيه، دون أن يحركهما. جسمه هادئ يكاد لا يتحرك فيه سوى الشفتين. والكلام يصدر عنه منغوماً موقعاً كأنه يرتله ترتيلاً.

> **كانت «الحرب» معلنة في صحافة الشيوعيين ضده بتهم التحريفية**

يلقي كلامه (وهو الأعمى) بتدفق ويُسر كأنه يقرأ في لوحةٍ ما أمامه كلاماً مكتوباً بخط واضح.

لم يقل ما كنتُ قد توقعتُه منه. كان في كلامه، أولاً، ما ينقض تصوراتي المسبقة، الآتية من غبار تلك المعركة التي ثارت بينه وبين الأدباء التقدميين والماركسيين المصريين في تلك الفترة. وكان في كلامه، ثانياً، ما ينسجم مع طه حسين الأصيل الذي عرفناه، ومع تراثه هو نفسه في فهمه للأدب ودوره. فاجأنا وفاجأ بالأخص الصديق سهيل إدريس منظم تلك المناظرة بأن بدأ حديثه: «يجب أن أقول لكم الحق قبل أن آخذ معكم في هذا الحديث، فأنا لم ألتزم بالدفاع عن الخاصة ولا عن العامة». بل هو إنما وافق ـ كما قال في نوع من المراوغة المحببة ـ على اقتراح إدريس لأنه أراد أن يزور لبنان ويلقى اللبنانيين. ثم قال، صراحة: «هذه المناظرة أو هذه الموقعة أو المعركة أو هذه الخصومة، إنما هي، فيما أعتقد، شيء مصطنعٌ لا أعرف له أساساً ولا أعرف له أصلاً». وواصل حديثه في البرهنة على دعواه هذه. فالأدب إنما يُكتب ليُقرأ. والأديب إذ يكتب «فهو لا يكتب للخاصة، ولا يفكّر في الخاصة، وهو لا يكتب للعامة ولا يفكر في العامة، وإنما يكتب لغيره، يكتب لكل مَن يتاح له أن يقرأ».

إذا عاد القارئ الآن إلى المقارنة المتأنية بين ما قاله رئيف خوري وما قاله طه حسين، في تلك المناظرة، سيجد أنهما اختلفا بتفصيل هنا وتفصيل هناك. لكنه سيجد أنهما يتفقان في الأساس: في موقفهما المبدئي من الأدب، كنتاج جمالي، وكفعلِ خلقٍ فرديّ لكن بمادّة اجتماعية. وفي الدور الذي يؤديه الأدبُ لا في تنمية التذوّق الجمالي الإنساني فحسب، بل في إنارة الوعي والطريق إلى الحرية والتقدم. واتفق الاثنان أيضاً في توجيه الانتقاد الى حال الأدب والأدباء في الاتحاد السوفياتي وافتقارهما الى الحرية. وقد وجهت صحافتنا الشيوعية النقد الشديد والانفعالي، الى المتناظرين معاً، على هذه الناحية بالذات، دون دخول جدي في الموضوع!

وسنرى، بعد عام واحد من هذه المناظرة أن هؤلاء المتناظرين «المتخاصمين» جميعاً: طه حسين، ورئيف خوري، وسهيل ادريس، وعدد من الأدباء الشيوعيين العرب، سيلتقون في «مؤتمر الأدباء العرب الثاني» في بلودان 1955، ويعلنون في الأدب والفكر والسياسة، موقفاً متقدماً تحرّرياً، وعلى درجة رفيعةٍ من الانسجام.

* محمد دكروب
* النصّ كاملاً على موقعنا

«مناضل» حرفته الأدب

يمنى العيد *

عند الكلام على رئيف خوري الناقد الأدبي، علينا الأخذ في الاعتبار كونه مفكّراً مناضلاً، سعى إلى إقامة مجتمع العدالة والحريّة. من هذا المنطلق، ربط بين الأدب كنتاج فني وبين قضايا المجتمع. الأدب في نظره ليس ترفاً، بل هو نتاج مندرج في سياق الحياة بما هي حياة الشعوب، والأدب معنيّ بتقدّمها ورقيّها. وهو أي الأدب، وحسب تعبير رئيف خوري، مسؤولٌ عن هذا التقدم والرقي. تناول رئيف خوري، شأن نقاد زمنه، مسألة العلاقة بين الشكل والمضمون، ليوضح أنّ اهتمامه بالوظيفة الاجتماعيّة للأدب لم يكن على حساب الشكل. الشكل، في نظره، جماليّة لا تنفصل عمّا يتمثّل فيه من معانٍ وأحاسيس. وبمعنى آخر، الجماليّةُ ليست مجرّد شكل، بل هي رهينة ما يزخر به الأدب من معانٍ إنسانيّة، وما يولده من أحاسيسَ ويتركه من أثر. في هذا السياق، أكد رئيف خوري على جماليّة اللغة، أو على الجمال الصوتي، أو الموسيقى في عبور الكلام من التلفّظ إلى السماع، جاعلاً من هذه الموسيقى اللفظيّة عنصراً يصبّ في قيمة الأدب. يقول: «إن الجرس الموسيقي الجميل ضروري في مفردات الكاتب». كما أوضح أن الجماليّة هي في «استاطيق العبارة». وعليه، فإنّ النقد الأدبي، في نظره، يبقى ناقصاً إذا أهمل الأستاطيق واقتصر على التاريخ والتحقيق التاريخي، والتحليل النفسي. «فهذا كله يفسّر الأدب... ويصوره فعلاً لا فاعلاً». يتوسّع رئيف خوري في دراسة المسألة اللفظيّة ـ الصوتيّة ـ مقترباً، من جهة، من علم الأصوات الحديث، ومقدماً من جهة ثانية إضاءةً جديدة لوظيفة التعبير اللغوي في جماليّة الأدب. هكذا يمكن القول بأنّ رئيف خوري كان ناقداً أدبياً واسع الثقافة، عميق الرؤية، لم يمنعه اهتمامه بقضايا المجتمع من التعمق في معنى الأدب والحرص على جماليّته، وبالتالي بلورة منظور نقدي أكّد فيه على هذه العلاقة العضويّة بين الشكل والمضمون.

* ناقدة لبنانية تشارك في المئوية ضمن محاضرة تحمل عنوان «رئيف خوري ناقداً»
يتخلّل الاحتفالية عرض فيلم وثائقي عن رئيف خوري من إخراج سمير يوسف وربيع قصيباتي، فيما تغنّي أميمة الخليل من شعر رئيف خوري وألحان هاني سبليني

العائلة تحيي إرثه العريق

روان عز الدين

انطلاقاً من مناظرة «لمن يكتب الأديب: للخاصّة أم للكافّة»، تنجلي الصورة عن مشروع رئيف خوري. يومها، دافع عن توجّه الكاتب إلى الجماهير لا إلى النخب. هذا الفكر المتجذّر في كتبه مطابق لممارساته اليومية، فهو «لطالما اهتم بتثقيف مجتمعه وبالآخرين» تقول ابنته ملكة خوري خياط لنا. وإن لم تكن السنوات القليلة التي عاشتها ملكة وإخوتها الخمسة برفقة والدهم قبل وفاته في 8 تشرين الثاني (نوفمبر) 1967، كافية لتبني صورة واضحة عنه، إلا أنها تذكر تواضعه والمنزل المفتوح أمام الجميع «المتعلم وغير المتعلم، الفقراء والأغنياء». تشير أقوال ابنته إلى السمعة «الطيبة» التي يتناقلها عنه أصدقاؤه، والحسّ الفكاهي الذي طالما أشار إليه الراحل سهيل إدريس. لكن أولوية هذه الأكاديمية في «الجامعة الأميركية في بيروت» اليوم، هي الاهتمام بإرثه. الروايات وكتب النقد الأدبي والقصة القصيرة والمقالات والدراسات والشعر التي صدرت بمعظمها عن «دار المكشوف» قبل عقود، بدأت تخرج إلى الضوء مجدداً. أعاد أبناء رئيف إصدار مؤلفاته، وتجميع المفقود منها. وهم بذلك اختاروا الجانب الجوهري للحفاظ على تجربة والدهم وإحيائها بعد حوالى أربعة عقود على رحيله. بدأت الرحلة مع إصدار العائلة أربعة من كتبه عن «دار الساقي» هذا العام، هي رواية «الحب أقوى» (1950)، و«الدراسة الأدبية» (1939) التي يتناول فيها أسس النقد الأدبي، و«مع العرب في التاريخ والأسطورة» (1942) الذي ينهل فيه بعض القصص والحوادث من التاريخ العربي، و«الفكر العربي الحديث، أثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي» (1943). كذلك يقبع مؤلّفه «ديك الجنّ، الحبّ المفترس» (المكشوف ـ 1948) تحت الطبع حالياً، كما تحضّر العائلة لثلاثة مؤلّفات أخرى يُتوقع إعادة إصدارها: تجميع أشعاره في كتاب، وإصدار كتاب آخر حول نظرته إلى القومية، بالإضافة إلى كتابه الشهير «حقوق الإنسان من أين وإلى أين المصير؟». تقوم العائلة بجهد شبه فردي. بمساعدة أبناء رئيف، وبلدية نابيه، و«المجلس الثقافي للبنان الجنوبي» و«الحركة الثقافية ـ أنطلياس»، وبعض الأصدقاء والزملاء. وقبل أيام، أزاحت نابيه الستار عن نصب تذكاري لابنها عند مدخل البلدة، فيما تشارك العائلة اليوم في الاحتفالية المخصصة له من خلال كلمة تلقيها ملكة خوري، إضافة إلى بعض استعادة أشعار والدها النادرة والقديمة.

نصبه في بلدة نابيه